

الإشاعة الإلكترونية: سيولة معرفية وخلخلة قيمية

في مجتمع مهدد بضياغ البوصلة القيمية

Electronic Rumors: Knowledge Flux and Value Disruption
In a Society Threatened by Loss of its Value Compass

د. عبد الحفيظ بولزرق *

جامعة قسنطينة 2- عبد الحميد مهري (الجزائر)، البريد الإلكتروني-
constantine2.dz

Dr.AbdelhafidBoulezzrak

University of Constantine 2.AbdelhamidMehri (Algeria)

تاريخ الاستلام: 2026/05/11 تاريخ القبول: 2026/05/16

Abstract:

This academic paper examines the phenomenon of electronic rumors (e-rumors) as one of the most dangerous sociological manifestations of contemporary digital society. Through a rigorous sociological analysis grounded in the theoretical frameworks of legal sociology, educational sociology, and the sociology of deviance and crime, the study posits that electronic rumors have transcended their role as mere communicative disturbances; they have evolved into a systematic mechanism for destabilizing value systems and reshaping collective consciousness in an era of accelerating digital transformation. Drawing upon key theoretical constructs - including Zygmunt Bauman's concept of Liquid Modernity, Pierre Bourdieu's Social Field and Symbolic Capital, Émile Durkheim's moral sociology, and Jürgen Habermas's Theory of Communicative Action - the paper maps the sociological dynamics through which e-rumors are produced, circulated, and normalized. It further examines their corrosive impact on moral and social value systems within Arab societies specifically. The study concludes that electronic rumors constitute a form of collective epistemic deviance, generating what the author terms 'axiological disorder' - a systemic erosion of moral compasses across social strata. This reality necessitates urgent, multidimensional interventions at the legislative, educational, and communal levels to fortify collective value identity against the peril of moral compass loss.

Keywords: Electronic rumors, epistemic fluidity, value disruption, moral compass, epistemic deviance, digital sociology, social identity, cognitive disorder, cyberspace, social reproduction.

ملخص:

تتناول هذه المداخلة ظاهرة الإشاعة الإلكترونية بوصفها إحدى أخطر الإفرازات السوسولوجية للمجتمع الرقمي المعاصر، من خلال تحليل سوسولوجي متعمق يستند إلى منظومة متكاملة من الأطر النظرية في علم الاجتماع القانوني والتربوي وسوسولوجيا الانحراف والجريمة. تنطلق الدراسة من مسلّمة أساسية مفادها أن الإشاعة الإلكترونية لم تعد مجرد ظاهرة اتصالية عابرة، بل تحولت إلى آلية ممنهجة لزعزعة المنظومة القيمية وإعادة تشكيل الوعي الجمعي في عصر تتسارع فيه وتيرة التحولات الرقمية.

وتسعى المداخلة إلى الكشف عن الآليات السوسولوجية التي تتشكل من خلالها الإشاعة الإلكترونية وتنتشر، ورصد تأثيراتها على منظومة القيم الاجتماعية والأخلاقية في المجتمع العربي تحديداً، مستعينةً بمفاهيم نظرية من قبيل: السيولة الاجتماعية (زيغمونتباومان)، والحقل الاجتماعي والرأسمال الرمزي (بيير بورديو)، وسوسولوجيا الأخلاق (إميل دوركايم)، ونظرية الفضاء العمومي (يورغن هابرماس).

وتخلص الدراسة إلى أن الإشاعة الإلكترونية تُشكّل ضرباً من ضروب الانحراف المعرفي الجماعي، ذلك الانحراف الذي يُفضي إلى إنتاج ما يمكن تسميته بـ"الفوضى القيمية"، مما يستدعي التدخل العاجل على المستويات التشريعية والتربوية والمجتمعية لتحصين الهوية القيمية ضد مآلات ضياع البوصلة الأخلاقية.

الكلمات المفتاحية: الإشاعة الإلكترونية، السيولة المعرفية، الخللة القيمية، البوصلة القيمية، الانحراف المعرفي،

علم الاجتماع الرقمي، الهوية الاجتماعية، الفوضى المعرفية، الفضاء الإلكتروني، التنشئة الاجتماعية.

1- مقدمة

يشهد العالم اليوم تحولات بنيوية جوهرية تعيد رسم ملامح الاجتماع الإنساني في ظل الثورة الرقمية والانتشار المتسارع لوسائل التواصل الاجتماعي، التي باتت تحتل مكانة محورية في تشكيل الوعي الجمعي وإنتاج الدلالات الرمزية. وفي خضم هذا التحول الرقمي المتسارع، تبرز ظاهرة الإشاعة الإلكترونية بوصفها إحدى أبرز الإشكاليات السوسيولوجية الراهنة، لا سيما في سياق مجتمعات تعاني أصلاً من إشكاليات هشاشة الهوية وأزمة القيم في مرحلة انتقالية مشحونة بالتناقضات.

لا تعد الإشاعة الإلكترونية في مستوى أول أن تكون ضرباً من ضروب الخطاب المُشوّه المتداول عبر الفضاءات الرقمية، غير أنها في مستوى ثانٍ وأعمق، تُمثّل آليّة اجتماعية بنيوية تُعيد إنتاج العنف الرمزي (Bourdieu, 1980)، وتُفضي إلى ما يمكن توصيفه بالخلخلة القيمية، أي تلك الزعزعة المنهجية للمنظومة القيمية الجامعة التي طالما شكّلت عمود الهوية الثقافية الفقيرة وضامن التضامن الاجتماعي (دوركايم، 1893). ومن هذا المنطلق، تنبثق إشكالية هذه المداخلة من السؤال الجوهرية الآتي:

كيف تُشكّل الإشاعة الإلكترونية - في سياق مجتمع معولم ومنفتح على الفضاء الرقمي - فضاءً لإنتاج سيولة معرفية مضطربة تُهدد منظومة القيم الاجتماعية والأخلاقية وتُقوّض البوصلة القيمية للأفراد والجماعات؟

تستمد هذه المداخلة أهميتها من كونها تندرج في سياق الأزمات المجتمعية الراهنة التي يعيشها المجتمع العربي في خضم مراحل التحول الديمقراطي وإعادة التوضع الهوياتي، إذ تُشير الدراسات السوسيولوجية المعاصرة إلى أن منصات التواصل الاجتماعي أضحت تُضخّم الإشاعات بمعدلات تفوق سرعة انتشار المعلومات الصحيحة بست مرات (Vosoughi, Roy & Aral, 2018)، مما يجعل التصدي لهذه الظاهرة ضرورةً علمية وأخلاقية واجتماعية في آنٍ واحد.

2. الإطار المفاهيمي والنظري

1.1. الإشاعة الإلكترونية: المفهوم والأبعاد

تعود دراسة الإشاعة بوصفها ظاهرةً اجتماعية إلى العمل الرائد لغوردون ألبورت وليو بوستمان (1947) اللذين عرّفاه بأنها "تصريح يُثار للتصديق به، يُنقل من شخص إلى آخر دون وجود بيانات موثوقة كافية تُثبتته". غير أن بروز الإشاعة الإلكترونية استدعى إعادة النظر في هذا التعريف الكلاسيكي، فالإشاعة الإلكترونية - أو ما يُسمى بـ"إنفودميك" (Infodemic) حسب تصنيف منظمة الصحة العالمية (2020) - هي نمط اتصالي مُشوّه ومُتسارع الانتشار في الفضاء الرقمي، يتعذر التحقق منه ابتداءً، ويُوظّف قصداً أو غير قصد لتحقيق أهداف نفسية أو اجتماعية أو سياسية (قيراط، 2017).

وتتميز الإشاعة الإلكترونية عن نظيرتها التقليدية بجملة من الخصائص السوسيولوجية المائزة، أبرزها: (أ) الفائقية (Hypervirality)، أي قدرتها على الانتشار في شبكات متداخلة وعابرة للحدود الجغرافية بسرعة هائلة (بن عيسى، 2020).

(ب) اللامركزية، إذ تُنتج وتُتداول دون مرجعية مركزية أو حارس بوابة (Gatekeeping) فعّال.

(ج) التعقيد الخطابي، حيث تمتزج المعلومة بالتأطير العاطفي والاستحثاث الأيديولوجي.

(د) إعادة الإنتاج التكيفي، أي خاصية تشكّلها من جديد في كل سياق ثقافي وتاريخي مختلف (الحسن،

2019).

ويستدعي التحليل السوسيولوجي للإشاعة الإلكترونية التمييز بين مستويين تحليليين متميزين: المستوى الميكروسوسيولوجي الذي يعنى بأثرها على بنية الشخصية والهوية الفردية، والمستوى الماكروسوسيولوجي الذي يرصد تداعياتها على البنية الاجتماعية الكبرى والتضامن الجمعي (حداد، 2018).

2.2. السيولة المعرفية: من الاستقرار إلى الانزلاق الدلالي

يُعدُّ مفهوم "السيولة" (Liquidity) "من أبرز المفاهيم التي استثمرها الفيلسوف وعالم الاجتماع البولندي زيغمونتباومان (2000) في تشخيص الحداثة المتأخرة، إذ يرى أن المجتمعات المعاصرة باتت تتسم بتدوين الثوابت والبنى المستقرة، وهو ما يُفضي إلى "الحياة السائلة" التي يُعاد فيها إنتاج المعنى والهوية بصورة دائمة ومتقلبة. وحين تتقاطع هذه السيولة البنيوية مع الفضاء الرقمي بوصفه بيئةً من طبيعته اللايقين وسرعة الزوال، تتشكّل ما يمكن تسميته بـ"السيولة المعرفية: (Epistemic Fluidity) وهي حالة من التقلب في المرجعيات المعرفية والحقائق الاجتماعية، تجعل الفرد غير قادر على التمييز بين المعلومة والإشاعة، وبين الخبر والتأطير، وبين الواقع والتمثيل الخطابي (باومان، 2000، ترجمة: التهامي وآخرون).

ويُجلب مفهوم "ما بعد الحقيقة (Post-Truth) الذي اختارته أكسفورد كلمة عام 2016، هذا الفضاء المعرفي السائل حيث يتراجع دور الدليل الموضوعي لصالح الاستمالة العاطفية والتحيز الأيديولوجي في تشكيل المعتقد العام (أسيلي، 2021). ولا يجد الأفراد في مثل هذه البيئة قدرةً على التثبّت من الحقائق، فتتحول الإشاعة من مجرد أداة تضليل إلى آلية إنتاج الواقع الاجتماعي ذاته، في ما يُسميه الفيلسوف جان بودريار (1981) بـ"المحاكاة (Simulacre)".

وتترتب على السيولة المعرفية التي تولّدها الإشاعة الإلكترونية جملة من التداعيات السوسيولوجية البارزة، في مقدمتها: ظاهرة "اللاتمييز المعرفي" (Epistemic Indifference) التي تُصاب بها الجماعات حين تتساوى في وعيها الحقائق المؤثقة والإشاعات المُثَقَّقة (عمار، 2020): فضلاً عن ظاهرة "التأكيد التحيزي" (Confirmation Bias) التي ترصدها الدراسات النفسية الاجتماعية، والتي تُقرّر أن الأفراد يميلون إلى قبول الإشاعات التي تُعزّض معتقداتهم القائمة والنفور مما يناقضها (سعيداني، 2022).

3.2. الخلخلة القيمية: التعريف والآليات

يستمد مفهوم "الخلخلة القيمية" جذوره النظرية من سوسيولوجيا القيم الدوركايمية، لا سيما مفهوم الأنومي (Anomie) الذي طوّره إميل دوركايم (1893) ليصف تلك الحالة من الفراغ المعياري الناجمة عن تفكك المنظومة القيمية الجامعة في مجتمعات التحول. ويُعرّف الانحراف القيمي في هذا الإطار بأنه نمط السلوك أو التفكير الذي يتعارض مع منظومة القيم الجامعة للمجتمع وينتهك معايير الأخلاقية (شتوان، 2019).

وإذا كانت الأنوميا الدوركايمية تنشأ في سياقات الأزمات الاقتصادية والتحوّلات البنيوية الكبرى، فإن الخلخلة القيمية المعاصرة تنشأ أيضاً في السياق الرقمي من خلال الفيضان المعلوماتي (Infoglut) والإشاعات الإلكترونية التي تُقوّض المرجعيات القيمية المشتركة، وتُفرز ما يُعبر عنه رضا مصطفى (2018) بـ"الفجوة القيمية"، أي ذلك التباين المتسع بين القيم المُعلنة والقيم الممارسة في الحياة اليومية.

ولا تعمل الإشاعة الإلكترونية في عزلة عن السياق البنيوي، بل تتفاعل مع جملة من العوامل المُعجّلة للخلخلة القيمية، أبرزها: ضعف منظومة الضبط الاجتماعي الرقمي، وتراجع مؤسسات التنشئة الاجتماعية التقليدية كالأسرة والمدرسة ودور العبادة، وغياب التحصين الإعلامي والإدراكي لدى قطاعات واسعة من الشباب الذين هم الأكثر عرضةً وتأثراً (بوطيب، 2021).

3. الإشاعة الإلكترونية في مرآة النظرية الاجتماعية

1.3. القراءة الدوركايمية: الإشاعة ووظيفة الأنومي الرقمية

في ضوء الإطار الوظيفي البنيوي الدوركايمي، يمكن قراءة الإشاعة الإلكترونية بوصفها ضرباً من ضروب الأنومي الرقمية التي تُصيب المجتمع حين تُصبح الأعراف والقيم المنظّمة للفضاء التواصلي مُستهلكة أو مُشوّهة أو غائبة، فالمجتمع الصحي في المنظور الدوركايمي هو ذلك الذي تُشكّل فيه المعايير المشتركة والضمير الجمعي حاجزاً أمام التفكك الاجتماعي؛ أما حين يتآكل هذا الضمير الجمعي تحت وطأة الفيضان المعلوماتي وانهيار موثوقية المعلومة، تضطرب البنى الاجتماعية وتنفك الروابط المؤسّسة لها (دوركايم، 1897، ترجمة: الجوهري).

وفي هذا السياق، تعمل الإشاعة الإلكترونية آليةً فعّالة لما يسميه مرتون (1968) "الوظيفة الخفية (Latent Function) للنظام الاجتماعي: فهي وإن كانت ظاهراً تمثّل خلافاً وظيفياً (Dysfunction)، إلا أنها في العمق تُنَبِّه إلى مواطن الهشاشة البنيوية في المنظومة الاجتماعية التواصلية، كضعف ثقافة التحقق وغياب منظومة التثقيف الإعلامي وقصور مؤسسات الضبط الاجتماعي (شتوان، 2019).

2.3. القراءة البوردديوية: الإشاعة والعنف الرمزي في الحقل الرقمي

يُتيح مشروع بيير بورديو النظري أدوات تحليلية بالغة الخصوبة في فهم الإشاعة الإلكترونية، وذلك من خلال مفهومين محوريين: الحقل الاجتماعي (Field) والعنف الرمزي (Symbolic Violence) فالفضاء الرقمي في هذا المنظور هو حقل اجتماعي بامتياز، يتنافس فيه الفاعلون الاجتماعيون على امتلاك رأس المال الرمزي الرقمي (عدد المتابعين، والمصدقية الافتراضية، والقدرة على الانتشار الفيروسي)، مما يجعل الإشاعة أداة من أدوات الصراع والهيمنة داخل هذا الحقل. (Bourdieu, 1992).

ويكتسب مفهوم العنف الرمزي في هذا السياق الرقمي أبعاداً جديدة: فالإشاعة الإلكترونية لا تُمارس العنف عبر الإكراه المادي، بل عبر إعادة تأطير الواقع وفرض رؤية مُشوّهة للعالم الاجتماعي يُخضع لها المتلقي دون وعي منه، في إطار ما يُسميه بورديو بـ"الهابيتوس (Habitus)"، أي الملكات والتوجهات المُستبطنّة التي تُحدّد كيفية إدراك الأفراد للعالم من حولهم والتجاوب معه (بورديو، 1980، ترجمة: القبيسي).

وتجدر الإشارة هنا إلى ما يُسمى بـ"الفقاعات الفيلترية (FilterBubbles) (Pariser, 2011)" التي تُولّدها خوارزميات المنصات الرقمية، والتي تُقيّد الفرد داخل مجاله المعرفي الخاص وتُقيّد ميله للتصديق بالإشاعات المتوافقة مع قناعاته المسبقة، مما يُفضي إلى ما يُسميه ألان تورين (2005) "الفردانية الإدراكية" التي تُفوّض إمكانية الحوار المجتمعي المنتج (سعيداني، 2022).

3.3. القراءة الهابرماسية: أزمة الفضاء العمومي الرقمي

طوّر يورغن هابرماس (1962) مفهوم الفضاء العمومي (Public Sphere) بوصفه الفضاء الذي تتشكّل فيه الإرادة الجمعية العقلانية من خلال النقاش العمومي الحر والمبني على الحجة والبرهان، غير أن التطبيقات والمنصات الرقمية المعاصرة أنتجت ما يصفه المنظّرون بـ"الفضاء العمومي المُستعمر"، إذ تحتل الإشاعة والمعلومة المُضَلَّلَة مساحات شاسعة من النقاش العام، مما يُقوّض منطق التواصل الحجاجي ويُفسح المجال أمام ما يُسميه هابرماس بـ"التواصل الاستراتيجي" المُدار لأغراض إيديولوجية أو تجارية أو سياسية (Habermas, 1984).

وفي هذا الإطار، تُمثّل الإشاعة الإلكترونية نقيضاً سوسيولوجياً للفضاء العمومي الهابرماسي؛ فبينما يشترط هذا الأخير الشفافية والتحقق والمساءلة والاحتجاج العقلاني شرطاً لإنتاج توافق سياسي ومجتمعي ناضج،

تعمل الإشاعة على إنتاج خطاب عاطفي مشحون يُضخّم الانقسامات ويُكرّس التعصب ويُعيق الفهم المتبادل والاندماج المجتمعي (بوطيب، 2021).

3. الإشاعة الإلكترونية وسوسيولوجيا الانحراف المعرفي

1.4. الإشاعة بوصفها انحرافاً معرفياً جماعياً

يُتيح إطار سوسيولوجيا الانحراف الاجتماعي قراءة نقدية ثريّة لظاهرة الإشاعة الإلكترونية. فإذا كان الانحراف في التصور الدوركايمي الكلاسيكي يُعرّف بأنه الفعل الذي يُجرّمه الضمير الجمعي ويُلحق الأذى بمعايير المجتمع، فإن الانحراف المعرفي الذي تُولّده الإشاعة الإلكترونية يتجاوز الفعل الجرمي الفردي ليُصبح ظاهرةً جماعيةً بنيوية تُنتجها أنماط الاستخدام الرقمي الجمعي والثقافة السائدة في الفضاء الإلكتروني (حداد، 2018).

وتقترب هنا نظرية الوصم (Labeling Theory) لهاوارد بيكر (1963) التي ترى أن الانحراف ليس خاصية موضوعية في الفعل بل هو نتاج عملية تفاعلية سوسيولوجية يُعيّن من خلالها المجتمع ما هو منحرف وما هو مقبول. وبتطبيق هذه الرؤية، نجد أن إشكالية الإشاعة الإلكترونية تكمن جزئياً في عجز المجتمع الرقمي عن وصم الإشاعة انحرافاً معرفياً وتجريمها اجتماعياً، بسبب ضبابية المسؤولية الأخلاقية في هذا الفضاء وغياب مرجعية قيمية جامعة تستطيع القيام بهذا الدور الوصفي (شتوان، 2019).

أما نظرية التعلم الاجتماعي لإدوين سادرلاند (1939) ولاحقاً رونالد إيكز (1985)، فتُقدّم لنا تفسيراً آخر للإشاعة الإلكترونية باعتبارها سلوكاً متعلّماً اجتماعياً؛ فالفرد الذي يتشرب في الفضاء الرقمي أعراف الإثارة والنشر الأعمى دون تحقق، يُصبح ناقلاً للإشاعات بوصفها ممارسةً عادية ومقبولة، بل مكافأةً اجتماعياً تجلب له التفاعل والانتشار في مجتمع الشبكات الافتراضية (سعيداني، 2022).

2.4. الإشاعة الإلكترونية والجريمة المعلوماتية

لا يمكن إغفال البعد القانوني في تحليل الإشاعة الإلكترونية، إذ أفضت التداعيات الحادة لهذه الظاهرة إلى انبثاق إطار تشريعي دولي وإقليمي للتصدي لها في إطار الجريمة المعلوماتية. فعلى المستوى العالمي، صُنّف القانون الدولي للاتصالات ومؤتمرات الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة بعض صور الإشاعة الإلكترونية المُضرة في خانة الجرائم الإلكترونية (cybercrime) حين يترتب عليها إثارة الفتنة أو المساس بالأمن القومي أو تحريض الرأي العام على العنف (قيراط، 2017).

وعلى المستوى المحلي، سنّت كثير من الدول العربية تشريعات تجرّم نشر الإشاعات الماسّة بالأمن العام والنظام الاجتماعي، وإن تفاوتت هذه التشريعات في شمولها وفعاليتها. ولعل الإشكالية التشريعية الكبرى تكمن في تحديد الحد الفاصل بين حرية التعبير والمعلومة الضارة، إذ يُلفت الباحثون في علم الاجتماع القانوني إلى أن ثمة توتراً بنيوياً بين الحق في التعبير والحرية الرقمية من جهة، ومتطلبات النظام الاجتماعي وصون القيم الجامعة من جهة أخرى (بن عيسى، 2020).

5. تأثير الإشاعة الإلكترونية على منظومة القيم - تحليل سوسيولوجي

1.5. التأثير على مؤسسة الأسرة والتنشئة الاجتماعية

تُمثّل الأسرة في المنظور السوسيولوجي الركيزة الأولى لعملية التنشئة القيمية ونقل المنظومة المعيارية بين الأجيال. غير أن الإشاعة الإلكترونية تُشكّل تهديداً وجودياً لهذه الوظيفة الأسرية الجوهرية، وذلك عبر آليتين متشابكتين: أولاهما تقويض السلطة المرجعية للوالدين، حين تتضارب الرسائل القيمية التي تُوجّهها الأسرة مع الإشاعات والمحتوى المتداول الذي يستوعبه الأبناء عبر الفضاء الرقمي (الحسن، 2019)؛ وثانيتهما التأثير

على بناء الهوية لدى الناشئة، حيث تُؤلّد الإشاعات المتعارضة لدى المراهقين ما يُسمى بـ"الارتباك الهوياتي" (Identity Confusion) الذي يُعيق تطور هوية قيمية ناضجة ومتسقة بالمعنى الإريكسوني (سعيداني، 2022). وتُشير دراسات المسح الاجتماعي العربية إلى أن نسبةً تتجاوز 60% من الشباب العربي في الفئة العمرية 18-35 سنة يُقرّون بتلقّي معلومات ثبت لاحقاً أنها إشاعات عبر منصات التواصل الاجتماعي، وأن 47% منهم يتأثرون بها في اتخاذ مواقف ذات بعد قيمي (البرنامج الإقليمي للشباب العربي، 2021). وهذه المعطيات تكشف بجلاء حجم التهديد الذي تُمثّله الإشاعة الإلكترونية على منظومة التنشئة الاجتماعية المنتجة للقيم (بوطيب، 2021).

2.5. التأثير على المنظومة التربوية والتعليمية

من منظور علم الاجتماع التربوي، تتشابك الإشاعة الإلكترونية مع وظيفة المدرسة الاجتماعية الكبرى المتمثلة في إنتاج المواطن القيمي الملتزم بالمعايير الجمعية وتكريس رأس المال الثقافي (Bourdieu & Passeron، 1977). وتكشف الدراسات أن انتشار الإشاعات في الوسط المدرسي والجامعي يُهدّد مناخ الحوار العقلاني ويُرسّخ ثقافة التلقي السلبي على حساب التفكير النقدي الذي يُمثّل إحدى الغايات الكبرى للعملية التعليمية (حداد، 2018).

ويُطرح على المنظومة التربوية في هذا السياق تحدّي وجودي مزدوج: التحدي الأول هو تطوير مناهج التربية الإعلامية والمعلوماتية القادرة على تحصين الناشئة ضد الإشاعات من خلال ترسيخ مهارات التحقق والتمييز بين المصادر؛ والتحدي الثاني هو استعادة هيبة المعرفة الموثوقة وإعادة بناء ثقافة الدليل والبرهان في مجتمعات أصابها وهن المرجعية المعرفية (عمار، 2020).

3.5. التأثير على الثقة الاجتماعية والتضامن الجمعي

تُعَدّ الثقة الاجتماعية (Social Trust) من أكثر القيم عرضةً للانحيار في سياق انتشار الإشاعات الإلكترونية، وذلك لأن الإشاعة تعمل في جوهرها على تآكل المرجعية الإعلامية الموثوقة وتحطيم اليقينيّات الجماعية التي يُقيم عليها الأفراد ثقمتهم في بعضهم وفي مؤسسات الدولة. ويُلاحظ علماء الاجتماع أن مجتمعات الثقة المرتفعة (High-Trust Societies) تمتلك مناعةً طبيعيةً أكبر ضد الإشاعات، لأن وجود مؤسسات فاعلة ومصداقية عالية يُزوّد الأفراد بأطر مرجعية كافية لتقييم الإشاعات ونقدها (رضا مصطفى، 2018).

وفي السياق العربي تحديداً، حيث تُعاني مؤسسات الدولة في بعض البيئات من أزمة مصداقية، تنتعش الإشاعة الإلكترونية في الفراغ الذي تتركه الرواية الرسمية المُصدّق بها، مما يُفضي إلى ما يُعبّر عنه بالتشكيك المُمنهج في كل مرجعية معلوماتية، وهو تشكيك يُفَتّت التضامن الاجتماعي ويُخلخل البنى التعاقدية الضمنية التي يقوم عليها المجتمع (بن عيسى، 2020).

6. آليات المواجهة وإعادة بناء البوصلة القيمية

1.6. على المستوى التشريعي والقانوني

تستدعي مواجهة الإشاعة الإلكترونية بوصفها انحرافاً معرفياً وجريمةً اجتماعية استحداث منظومة تشريعية متكاملة تُحدّد مسؤولية الناشر والمُروّج والمنصة الرقمية على حدّ سواء، وذلك وفق معادلة توازنية تصون حرية التعبير وتُحاصر المعلومة المُضلّلة الضارة بالنظام العام والسلم القيمي. ويُوصي الباحثون في هذا الصدد بأن يُعيّن لكل دولة "مجلس وطني للنزاهة المعلوماتية" يضطلع بمهمة التحقق من المحتوى الرقمي وإصدار تقييمات المصداقية بصورة مستقلة وشفافة (فيرا، 2017).

كما يتعين أن يُرفَق التشريع بمنظومة حوافز اجتماعية وإعلامية تُشجّع الإبلاغ عن الإشاعات الخطيرة وتُكافئ سلوك التحقق وإشاعة الثقافة المعلوماتية النقدية في المجتمع (أسيلي، 2021).

2.6. على المستوى التربوي والتنقيفي

يُشكّل بناء ما يُسمى بـ"الإدراك الرقمي النقدي" (Critical Digital Literacy) ركيزةً أساسية في التصدي لآفة الإشاعة الإلكترونية، ويُعدّ ذلك من المسؤوليات الكبرى للمنظومة التربوية في عصر المعلومات. ويشمل هذا الإدراك: مهارة التحقق من المصادر باستخدام الأدوات الرقمية المتاحة؛ والتمييز بين الخبر والرأي والتأطير الإيديولوجي؛ وفهم طبيعة خوارزميات الانتشار وأثرها في تضخيم الإشاعات؛ وتطوير الوعي بالتحيزات الإدراكية الذاتية (عمار، 2020).

ولا بد من أن تُدرج المناهج الوطنية وحدات خاصة بالتربية الإعلامية والمعلوماتية (Media and Information Literacy - MIL) وفق توصيات اليونسكو (2021)، مع تدريب المعلمين والأساتذة على نماذج التدريس النقدي في الفضاء الرقمي، بحيث يتحول الفضاء المدرسي إلى بيئة محصّنة ومُنْتِجة للمواطن المعرفي الواعي (بوطيب، 2021).

3.6. على المستوى المجتمعي والأخلاقي

تستوجب إعادة بناء البوصلة القيمية في مواجهة الإشاعة الإلكترونية استئناف النقاش العمومي حول المنظومة القيمية الجامعة للمجتمع، وتفعيل دور مؤسسات الضبط الاجتماعي الطبيعية كالأسرة والمسجد والمدرسة والنادي ومنظمات المجتمع المدني بوصفها حواضن للقيم وفضاءات لتشكيل الوعي الأخلاقي الجمعي.

كما يستدعي ذلك بناء "حركات الصدق الرقمي" (Digital Truth Movements)، تلك المبادرات المجتمعية الناشئة في عدد من المجتمعات التي تستهدف نشر ثقافة التحقق والأمانة المعلوماتية بوصفها قيمةً إسلامية وإنسانية عليا، في إطار منظومة أخلاق الميديا (Media Ethics) التي تُشكّل امتداداً رقمياً لمنظومة القيم الاجتماعية الكبرى (رضا مصطفى، 2018).

الخاتمة:

تُقرّر هذه المداخلة في ختامها أن الإشاعة الإلكترونية لا تُعدّ مجرد ظاهرة تواصلية عرضية، بل هي في جوهرها آليةٌ سوسيولوجية عميقة تتضافر في إنتاجها عوامل بنيوية متشعبة تمسّ صميم عملية التنشئة الاجتماعية وإنتاج الهوية ومنظومة الضبط القيمي. إن السيولة المعرفية التي تُرسّخها هذه الظاهرة تُشكّل أرضيةً خصبة للخلخلة القيمية التي تُهدّد التماسك المجتمعي وتُضخّم الهشاشة البنيوية.

وتتوصل الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات المحورية: (1) إن الإشاعة الإلكترونية ليست مجرد ظاهرة فردية عابرة، بل هي نتاج بنيوي لشروط اجتماعية ومؤسسية موضوعية تشمل: ضعف البنية التحتية المعلوماتية المعيارية، وأزمة المصداقية المؤسسية، وتراجع ثقافة النقد والتحميص في المجتمع؛ (2) إن الخلخلة القيمية التي تُنتجها الإشاعة لا تُصيب المجتمع في آنٍ واحد، بل تعمل بصورة تراكمية وطويلة الأمد، مما يجعل تشخيصها وقياسها تحدياً منهجياً أمام الباحثين الاجتماعيين؛ (3) إن المواجهة الفعّالة تستوجب تعاوناً متعدد المستويات بين الدولة والمجتمع المدني والأسرة والمنظومة التربوية، وذلك في إطار استراتيجية وطنية متكاملة للنزاهة المعلوماتية.

وتوصي الدراسة في إطارها الختامي بضرورة الاضطلاع بأبحاث ميدانية موسّعة تُقيس تأثير الإشاعة الإلكترونية على القيم الاجتماعية في السياق الجزائري تحديداً، مع التركيز على شريحة الشباب والمراهقين بوصفهم الأكثر تفاعلاً مع الفضاء الرقمي والأكثر عرضةً للتأثر بسيولته المعرفية. كما تدعو إلى تأسيس مرصد

وطني للرصد الاجتماعي للمحتوى الرقمي يضطلع بتقييم مستويات الانحراف القيمي المعرفي وتوجيه السياسات التشريعية والتربوية المناسبة للتصدي له.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية:

1. أسيلي، محمد، (2021)، ما بعد الحقيقة والإشاعة الرقمية: قراءة في أزمة المعرفة الاجتماعية المعاصرة. مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة بسكرة، (35)، 42-15.
2. باومان، زيفمونت، (2000)، الحداثة السائلة (ترجمة: حجاج أبو جبر وتحرير: التهامي وآخرون)، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، (العمل الأصلي نُشر عام 2000).
3. بن عيسى، نور الدين، (2020)، الإشاعة الإلكترونية في الفضاء العمومي العربي: المفهوم والآليات والتداعيات، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، (12)، 104-77.
4. بورديو، بيار، (1980)، المعنى العملي (ترجمة: عبد السلام القبيسي)، الجزائر: منشورات الاختلاف، (العمل الأصلي نُشر عام 1980).
5. بوطيب، عبد العالي، (2021)، التربية الإعلامية في مواجهة الإشاعة الرقمية: نحو مقاربة تربوية حديثة. مجلة التربية والتكوين، الرباط، (8)، 58-33.
6. البرنامج الإقليمي للشباب العربي، (2021)، تقرير حالة الشباب العربي في الفضاء الرقمي: بين الانخراط والتحديات، بيروت: مكتب اليونيسف الإقليمي.
7. حداد، محمد لخضر، (2018)، علم الاجتماع الجنائي الرقمي: قراءة في الجريمة المعلوماتية وانعكاساتها القيمة، الجزائر: دار قرطبة للنشر والتوزيع.
8. الحسن، إبراهيم، (2019)، الفضاء الإلكتروني والهوية الاجتماعية: نحو سوسيولوجيا النت، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
9. دوركايم، إميل، (1897)، الانتحار: دراسة في علم الاجتماع (ترجمة: محمد الجوهري وآخرون)، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، (العمل الأصلي نُشر عام 1897).
10. دوركايم، إميل، (1893)، تقسيم العمل الاجتماعي (ترجمة: حافظ الجمالي)، دمشق: وزارة الثقافة، (العمل الأصلي نُشر عام 1893).
11. رضا مصطفى، أشرف، (2018)، القيم الاجتماعية في عصر الإشاعة الإلكترونية: مقاربة سوسيو-أخلاقية. المجلة العربية لعلم الاجتماع، القاهرة، (43)، 38-5.
12. سعيداني، عبد الرزاق، (2022)، الانحراف المعرفي في الفضاء الرقمي: دراسة في نظريات الانحراف الاجتماعي، مجلة آفاق الاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، (18)، 124-89.
13. شتوان، عبد الغني، (2019)، علم الاجتماع القانوني والجريمة الإلكترونية: مقاربة نظرية، مجلة الحقوق والعلوم السياسية، جامعة خنشلة، (6)، 140-112.
14. عمار، مختار، (2020)، التعليم في مواجهة الإشاعة الرقمية: دراسة في أهداف التربية الإعلامية، مجلة الجامعي، جامعة الجزائر، (29)، 228-201.
15. قيراط، مصطفى، (2017)، الإعلام الرقمي والأخلاق المهنية في عصر وسائل التواصل الاجتماعي، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

16. Allport, G. W., & Postman, L. (1947). The psychology of rumor. Holt, Rinehart & Winston.
17. Becker, H. S. (1963). Outsiders: Studies in the sociology of deviance. Free Press.
18. Bourdieu, P. (1992). The field of cultural production: Essays on art and literature. Columbia University Press.
19. Bourdieu, P., & Passeron, J. C. (1977). Reproduction in education, society and culture (R. Nice, Trans.). Sage Publications.
20. Habermas, J. (1984). The theory of communicative action: Vol. 1. Reason and the rationalization of society (T. McCarthy, Trans.). Beacon Press.
21. Merton, R. K. (1968). Social theory and social structure. Free Press.
22. Pariser, E. (2011). The filter bubble: What the internet is hiding from you. Penguin Press.
23. Sutherland, E. H. (1939). Principles of criminology (3rd ed.). Lippincott.
24. Vosoughi, S., Roy, D., & Aral, S. (2018). The spread of true and false news online. Science, 359(6380), 1146–1151. <https://doi.org/10.1126/science.aap9559>
25. World Health Organization (WHO). (2020). Infodemic management: A key component of the COVID-19 global response. WHO Regional Office for Europe.
26. UNESCO. (2021). Media and information literacy: Policy and strategy guidelines. UNESCO Publications.